

وداعاً محمد

إلى محمد الفلوس
الذي ودعنا بعد عشر سنوات من السجن

وداعاً محمّدُ

وداعاً صديقي

من البحرِ جئتُ إلى البحرِ ها أنتَ تمضي

وحيداً لتشهدُ

وداعاً وعشرُ سنينِ مضتُ

هل تدوبُ السنينُ أم الروحُ تهوى التشرُّدُ

وداعاً

وكانتِ سجونُ البلادِ تقلِّدُكَ الهمَّ

كُنْتَ تقلِّدُها الكبرياءَ

وها أنتَ تمضي يُرافقُكَ الجمعُ والذكرياتُ

نشيعُ فيكَ الصديقُ أم الزمُّنُ الهمجيُّ

يشيعنا للشتاتُ؟

تُنازِ عُنَا الألفَةُ الحرَّى وفرحتنا

فَسَافِرُ في طولِ البلادِ التي أنكرتُكَ

ولا تحزنِ اليومَ إنَّ البراري اغتنتُ

بامتدادِكَ فيها

تأتقُ، لكِ الباقَةُ التي تشتهيكِ

وكم تشتهيها
لقد أعلن الكون أنك حرٌ
وأكدَ أنني فقدتُك واسترجعتُك اللّحظةَ
ما أروعّ اللحظةَ ترتاحُ كي تمتطيها

وداعاً محمدٌ
وداعاً رفيقي الصغيرُ
وداعاً رفيقي الأميرُ

وداعاً لك الكونُ، هل يدركُ الدهشةَ
من سعةِ الكونِ إلا الأسيرُ؟
وداعاً وفي كبدي وجعٌ هل تراه فراقُك
أم هل تراه حنيني إلى زرقَةِ البحرِ أو لفحةٍ من عبيرُ

وداعاً رفيقي الصغيرُ
هي الأمُ تنتظرُ الآنَ وجهك
ينشقُّ عنه سوادُ المدينة
هي الأمُ تنتظرُ الآنَ صوتك ممثلاً
بالسكينة
هي الأمُ تنتظرُ الساعةَ شهقتك الأولى
لكم راودتها كوابيسها – أنت تعلم –
سبحان قلبك، كم تعشقينه!

وها أنت منفعلٌ بالسَّماءِ
ومرتبُكُ بازُ تعاش الجناح
الذي رفَّ على ساعدِيكُ
ها أنت تُفلتُ للجاذبيَّةِ والإحتواءِ
فلا تُنسني يا صديقي
لا تنسَ وجهي وكأسَ اشتياقي
لا تُنسني بلِ أنسَ الترابَ الذي لفَّنا
والحديدَ الذي ضمَّنا واحتوانا
وتلكَ المفاتيحُ تُوصدُ دونَ هوانا
فسُبْحانَ حَبِّي إياكَ وحبِّكَ لي
وسبحانَ هذا التحديِّ
وسبحانَ قلبٍ تشعَّبَ في كَلْسِ الصَّخْرِ
باقاتٍ وردٍ

الوديعة، صلاح
1985، جراح الصدر العاري (ص.107-110)